المحاضرة الثالثة/ مدارس علم النفس:

المدرسة النفسية: جماعة من العلماء والمفكرين لهم نظريات متوافقة مع بعضها البعض، وتجمعهم رؤية فكرية رئيسة واحدة حول كيفية تفسير السلوك وكيفية تطوير علم النفس بجوانبه النظرية والتطبيقية، بالرغم من احتمال اختلافهم في بعض الآراء الفرعية.

ولجميع المدارس مصداقيتها ومنظورها الذي تدافع عنه، ولها نقاطها الايجابية والسلبية على حد سواء، ولذلك من الخطأ القول إن هناك مدرسة صحيحة بشكل كامل وأخرى خاطئة بشكل كامل.

المدارس النفسية الرائدة:

تعد المدرستان البنيوية والوظيفية أولى مدارس علم النفس إذ نشأتا في أواخر القرن التاسع عشر.

١. **المدرسة البنيوية:** تُنسب الى الطبيب الالماني فونت Wundt الذي أسس أول معمل تجريبي لعلم النفس في– المانيا. ومعاونه تتشنر Titchener اللذين أكدا على ما يأتي:

– تصنيف العقل من الداخل الى مجموعة من البنى والعناصر، واكتشاف ارتباطاتها بالجهاز العصبي. ويتم ذلك عن طريق تحليل العمليات العقلية الى مكوناتها الأولية، شأنها في ذلك شأن علم الكيمياء في تحليله للمادة الى جزيئات وذرات.

– دراسة إدراك الزمن والتداعي والإرادة.

– إن الطريقة المثلى لدراسة العمليات العقلية هي الاستبطان التحليلي (وهو نوع من ملاحظة الذات وتحليل الاحساسات التي يشعر بها المفحوص)، مثل تسجيل الفرد لانعكاسات انطباعاته الحسية الآنية عند تعرضه لومضة ضوء أو صوت.

٢. **المدرسة الوظيفية:** أسسها العالم الأمريكي ويليم جيمس William Jams الذي أكد على وظائف العقل في تكيفه مع البيئة، ورفضه للمدرسة البنيوية لكونها مصطنعة وغير دقيقة وغير فاعلة مع الفعاليات العقلية السريعة كون الشعور حالة فريدة تتغير باستمرار من وجهة نظره. واهتمت بالآتي:

– دراسة الكيفية التي يعمل بها العقل، أي وظيفة العمليات العقلية بطريقة تجعل الكائن الحي يتكيف مع بيئته ويكون نشطاً فيها.

– تطبيق معطيات علم النفس في مجالات التربية والقانون.

– أن لا تقتصر مناهج علم النفس على الاستبطان وإنما استخدام الاستبطان غير الشكلي واعتماد الطرائق الموضوعية كالتجربة والملاحظات الخارجية.

المدارس النفسية المعاصرة:

مع العقد الثاني من القرن العشرين تراجعت المدرستان البنيوية والوظيفية، وحلت محلهما مدارس السلوكية والتحليل النفسي والجشطالت والمعرفية.

٣. المدرسة السلوكية:

أ. منظور السلوكية الكلاسيكية: ساد هذا المنظور في النصف الأول من القرن العشرين بزعامة بافلوف Pavlov في روسيا، وكل من واطسون Watson في أمريكا، وهو يؤكد على الاستجابات المُلاحَظة والمحددات البيئية وفق المنطلقات الآتية:

– علم النفس هو **علم السلوك**، والسلوك مؤلف من عناصر استجابة يمكن تحليلها بالطرائق العلمية الموضوعية. وهناك استجابة مباشرة لكل مثير، فالسلوك قائم على حتمية "السبب – النتيجة".

– **العادة** هي المفهوم المركزي في نظريات السلوك، إذ تصبح الأفعال عادات إذا ما تم تعزيزها.

– الإنسان **صندوق مظلم**، سواء كان فارغاً أو ممتلئاً. فالمهم هو وصف ما يصدر عنه من سلوك ظاهر.

– ان العمليات اللاشعورية والمفاهيم المعرفية كالوعي أو التفكير أو العقل، إذا كانت موجودة فعلاً، **لا يمكن دراستها علمياً**.

ب. منور التعلم الاجتماعي: تطور عن المنظور السلوكي الكلاسيكي، إذ دمج العوامل البيئية بالعمليات العقلية لفهم السلوك، ويوصف هذا المنظور أيضاً بالسلوكي المعرفي، إذ أنه شدد على ضرورة أخذ الأحداث العقلية بالاعتبار بوصفها عوامل وسيطة بين المثيرات والاستجابات. وذهب بعض منظري هذا الاتجاه الى القول بأن التعلم بحد ذاته هو حدث عقلي، إذ أن العمليات العقلية تؤثر في السلوك بصورة مستقلة عن المثيرات، ومن أبرز نظريات هذا الاتجاه:

* **نظرية الحوافز الدافعية لـ دولارد وميلر** Dollard & Miller: ترى أن الشخصية تتألف من أنماط "مثيرات–استجابات" معينة (أي عادات). ولكي يتعلم الفرد ينبغي أن يريد شيئاً ما (الحافز) وأن يلاحظ شيئاً ما (الدليل)، وأن يفعل شيئاً ما (استجابة) وأن يحصل على شيء ما (الثواب)

* **النظرية المعرفية الاجتماعية** لـ باندورا و ولتز Bandura & Walters تشير الى أن الفرد يمكن أن يتعلم وفق أسلوب غير مباشر عن طريق التعزيز بملاحظة الآخرين والنتائج المترتبة على سلوكهم. فالتعلم لا يحدث عن طريق اشتراط الاستجابات فحسب، وإنما عن طريق تقليد سلوك الآخرين (أي نماذج) وهذا ما يسمى بالنمذجة Modeling.

٤. نظرية التحليل النفسي: مؤسسها الطبيب النمساوي سيجموند فرويد (1939 – 1856) ومن مؤيديه آدلر ويونغ. وقد شدد على دور العوامل اللاشعورية في صياغة تفكيرنا وسلوكنا، وعلى أن خبرات الطفولة المبكرة هي التي تحدد شخصية الفرد لاحقاً في مرحلة الرشد. وتتحدد أهم مبادئ هذا المنظور بالآتي:

– تقسيم العقل البشري الى الشعور وما قبل الشعور واللاشعور، وتقسيم الشخصية الى الهو والانا والانا العليا.

– التوكيد على الحتمية البيولوجية والتقليل من دور العوامل الثقافية والاجتماعي.

– غريزة الجنس هي الغريزة الأساسية المحددة لنمو الشخصية ولإصابتها بالاضطرابات النفسية، الى جانب غريزة العدوان.

– يستهدف العلاج النفسي تبصير الفرد بأفكاره اللاشعورية باستعمال "التداعي الحر"

وقد أنشق عن فرويد بعض مريديه لاحقاً.، ومنهم أدلر ويونغ اللذان رفضا إصرار فرويد على ان الأمراض النفسية مصدرها الخبرات الجنسية الفاشلة والمكبوتة في الطفولة.

ثم ظهر تيار الفرويديين الجدد من بينهم فروم وهورني وسوليفان وإريكسون الذين حاولوا أن يعيدوا صياغة نظرية فرويد صياغة اجتماعية، إذ أنهم اتفقوا مع فرويد على أهمية المحفزات اللاشعورية والصراعات إلا إنهم شككوا بعائديتها الى الجنس والعدوان فقط، ورجحوا دور العوامل الثقافية والاجتماعية بدلاً عن ذلك.

٥. مدرسة الجشطالت: نشأت حوالي عام ١٩١٢ في المانيا على يد فريتمر Wertheimer وكوفكا Kafka وكوهلر Kohler. والجشطالت كلمة المانية تعني **الشكل** أو **الصيغة** أو **الهيأة.** تهتم هذه المدرسة أساساً بالإدراك، إذ تعتمد الخبرات الإدراكية على أنماط تكونها المثيرات وعلى تنظيم الخبرات، ولغرض فهم الشخصية فلا بد من دراستها ككل لأنها أشبه بالتركيب الكيمياوي الذي تفاعلت عناصره، فالكل يختلف عن مجموع أجزائه في خواصه، وقد أسهمت دراسات الجشطالت عن الإدراك في تقديم تفسيرات مهمة لموضوعات التعلم والذاكرة وحل المشكلات في ميادين متنوعة في علم النفس مما ساعد على تطوير النظرية المعرفية ووضع الأسس المنهجية البحثية للتطورات الحالية في علم النفس المعرفي.

٦. المدرسة المعرفية: من أبرز رموز هذه المدرسة تولمان وبياجيه وبرونر وأوزبيل. نشأت بوصفها رد فعل ضد المنظور السلوكي الكلاسيكي الذي أهمل تماماً العمليات العقلية، كالانتباه والإدراك والتذكر والتفكير وحل المشكلات والاستدلال واتخاذ القرار، وهي تفترض:

– إن الإنسان كائن عاقل ومبدع وقادر على خلق أنماط جديدة ومتطورة من الأفكار اعتماداً على عملياته العقلية المتمثلة بالإدراك والاستدلال والتفكير.

– إن دراسة العمليات العقلية كفيلة وحدها بتحقيق فهمنا لأسباب السلوك.

– يمكن دراسة العمليات المعرفية بطريقة موضوعية ليس بالتركيز على سلوكيات معينة وإنما بتفسيرها بلغة العمليات العقلية الكامنة.

– ويعتمد علماء النفس المعرفي في تحليلاتهم على المطابقة بين عمل العقل وعمل الحاسوب، فالمعلومات المدخلة تعالج بطرائق متنوعة، إنها تنتقي وتقارن ثم تربط مع معلومات أخرى موجودة سلفاً في الذاكرة، ثم تحول ويعاد تنظيمها.. وهكذا.

٧. **المدرسة الإنسانية:** نشأت على يد ماسلو Maslow وروجرز Rogers اللذين أكدا على حرية الإرادة لدى الإنسان وقدرته على فهم التحديات التي تواجهه والتعامل معها. ويتفق علماء النفس الانسانيون على هدف مشترك هو: **سعي علم النفس الى ان يكون ذا صبغة إنسانية.** وبالرغم من اختلافاتهم فيما بينهم. ألا إنهم يشتركون في المبادئ الآتية:

– إن للإنسان طبيعة خيرة وإيجابية، وإن لديه حاجة فطرية لتحقيق ذاته.

– إن هدفهم مساعدة الناس لفهم أنفسهم وإثراء حياتهم والوصول بمكانتهم الى أقصى حد ممكن.

– ينبغي دراسة الإنسان بوصفه كائناً كلياً، بدلاً من تقسيمه الى وظائف كالإدراك والتعلم.

– يجب أن يركز علماء النفس على الوعي الذاتي أي كيفية رؤية الناس لخبراتهم الخاصة.

٨. **علم النفس الايجابي:** مؤسس وصاحب المبادرة التأسيسية لهذا العلم هو مارتن سيلغمان رئيس جمعية علماء النفس الأمريكية عام ١٩٩٨. فمع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين بدأ الاهتمام جليا نحو مواطن القوة لدى الأفراد بدلا من التركيز على نقاط الضعف والعجز وذلك من أجل تنمية النواحي الإيجابية واستثمارها لتجديد الحياة وتنمية المجتمعات وذلك في إطار تيار أو تخصص جديد في تحليل علم النفس العام، له جذور وروابط مع المدرسة الإنسانية التي تؤمن بقدرة الإنسان ورقي ذاته. بدأ كفكرة على يد الأمريكي مارتن سليغمان عام ١٩٩٨، وأتباعه الذين أسسوا لهذا التخصص الجديد. والذين تراجعوا عن الاهتمام بمفاهيم المرض النفسي، والعوامل المؤدية إلى الصراعات والاضطرابات لصالح المفاهيم المكونة لهذا العلم، كالإبداع والتفاؤل والعلاقات الاجتماعية المثمرة والرضا عن الحياة، المرونة النفسية، جودة الحياة، أساليب الحياة ... إلخ. ويعد علم النفس الإيجابي هو المدخل الوقائي والعلاجي لاكتشاف مكامن القوة الإنسانية وتنميتها فيساعد على عملية العلاج ويقي من المرض فهو يمثل **أنموذج الصحة** ويعمل على تعزيز الإمكانات بدلا من توجيه الاهتمام **لمعالجة العجز.**